الأنباء
الثلاثاء 9 يوليو 2013

● إعداد: ليلى الشافعي

عودة إلى الله

توبة أبي لبابة رضي الله عنه

قال الزهري: وكان أبو لبابة ممن تخلف عن النبي ﷺ في غزوة تبوك، فربط نفسه بسارية، ثم قال: والله لا أحل نفسي منها ولا أذوق طعاما ولا شرابا حتى أموت أو يتوب الله عليّ، فمكث سبعة أيام لا يذوق فيها طعاما ولا شرابا حتى كاد يخر مغشيا عليه، ثم تاب الله عليه، فقيل له: قد تيب عليك، فقال: والله لا أحل نفسي حتى يكون رسول الله ﷺ هو الذي يحلني بيده، قال: فجاء النبي ﷺ فحله بيده، ثم قال أبو لبابة: يا رسول الله! ان من توبتي ان أهجر دار قومي التي أصبت فيها الذنب وأن أنخلع من مالي صدقة الى الله وإلى رسوله، قال: «يجزئك الثلث يا أبا لبابة».

أخبرنا أبو صالح سعدالله بن نجا بن الوادي أن القاضي أبوبكر محمد بن عبدالباقي أن أبو محمد الجوهري أن أبو عمر بن حيويه أن عبدالوهاب بن أبي حية عن محمد بن شجاع البلخي أن محمد بن عمر الواقدي قال: فحدثني ربيعة بن الحارث عن عبدالله بن محمد بن عقيل عن السائب بن أبي لبابة عن أبيه قال: لما أرسلت قريظة الى رسول الله ﷺ يسألونه ان يرسلني اليهم ـ حين اشتد عليهم الحصر ـ دعاني رسول الله ﷺ فقال: «اذهب الى حلفائك فإنهم أرسلوا اليك من بين الأوس» قال: فدخلت عليهم وقد اشتد عليهم الحصار فهشوا الي، وقالوا: يا أبا لبابة نحن مواليك دون الناس كلهم، فقام كعب بن أسد فقال: أنا بشير! قد عرفت ما صنعنا في أمرك وأمر قومك يوم الحدائق، ويوم بعاث وكل حرب كنتم فيها، وقد اشتد علينا الحصار وهلكنا، ومحمد يأبى ان يفارق حصننا حتى ننزل على حكمه، فلو زال عنا لحقنا بأرض الشام أو خيبر، ولم نكثر عليه جمعا أبدا، فما ترى فإنا قد اخترناك على غيرك، ان محمدا قد أبى الا ان ننزل على حكمه، قال: نعم، فانزلوا، وأومأ الى حلقه: فهو الذبح. قال: فندمت فاسترجعت، فقال كعب: ما لك يا أبا لبابة، فقلت: خنت الله ورسوله، فنزلت وان لحيتي لمبتلة بالدموع والناس ينتظرون رجوعي اليهم حتى أخذت من وراء الحصن طريقا آخر حتى أتيت المسجد، فارتبطت وبلغ رسول الله ﷺ ذهابي وما صنعت فقال: «دعوه حتى يحدث الله فيه ما يشاء لو كان جاءني استغفرت له فأما اذ لم يأتني وذهب فدعوه».

قال: فحدثني معمر عن الزهري قال: وارتبط أبو لبابة سبعا في حر شديد لا يأكل ولا يشرب، وقال: لا أزال هكذا حتى أفارق الدنيا أو يتوب الله عليّ، قال: فلم يزل كذلك حتى يسمع الصوت من الجهد، ورسول الله ﷺ ينظر اليه بكرة وعشية، ثم تاب الله عليه، فنودي: ان الله قد تاب عليك، وأرسل رسول الله ﷺ اليه ليطلق عنه رباطه، فأبى ان يطلقه عنه احد غير رسول الله ﷺ، فجاء رسول الله ﷺ.

قال الزهري: فحدثتني هند بنت الحارث عن أم سلمة زوج النبي ﷺ قالت: رأيت رسول الله ﷺ يحل رباطه، وان رسول الله ﷺ ليرفع صوته يكلمه ويخبره بتوبته، وما يدري كثيرا مما يقول له من الجهد والضعف، ولقد كان الرباط حز في ذراعه، وكان من شعر، وكان يداويه بعد ذلك دهرا.

من التراث

هذا أحمق

قال عبدالله بن عمر بن عبدالعزيز: ما قلب عمر بن عبدالعزيز بصره إلى نعمة أنعم الله بها عليه إلا قال: اللهم إني أعوذ بك أن أبدل نعمتك كفرا، وأن أكفرها بعد أن عرفتها وأن أنساها ولا أثني بها، وقال روح بن الغاشم: تنسك رجل فقال: لا آكل الخبيص، لا أقوم بشكره، فقال الحسن: هذا أحمق وهل يقوم بشكر الماء البارد؟!

الحمّال أفقه من بكر

رأى بكر بن عبدالله المزني حمّالا عليه حمل وهو يقول الحمد لله، استغفر الله، قال: فانتظرته حتى وضع ما على ظهره، وقلت له: ما تحسن غير هذا؟ قال: بلى أحسن خيرا كثيرا أقرأ كتاب الله، غير أن العبد بين نعمة وذنب، فأحمد الله على نعمه السابغة وأستغفره لذنوبي، فقلت: الحمّال أفقه من بكر.

الرجال مواقف

عروة بن الزبير بن العوام بتروا ساقه وهو قائم يصلي.. فشغلته الصلاة عن آلام البتر

حينما تقف مواكب التاريخ تتأمل عظمة انسان، وتتملى سؤدده ومجادته، فانه هاتقف وتطيل الوقوف امام هذا البطل العظيم، لان جوانب العظمة فيه تحتاج الى تدبر وامعان، فهو اينما حدقت بفكرك في افاق حياته تجدها افاقا تتجاوز تخوم الانسانية حتى ان المتأمل الفاحص ليستظهر فيها من المعاني ما تدركه اجنحة الخيال المحلق، وحسبه عراقه في الاصل ان اباه هو الزبير بن العوام حواري رسول الله ﷺ وابن عمته، وان امه هي اسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه وان خالته هي عائشة أم المؤمنين، وحسبه سموا وجلالا في الاسلام انه ولد من بيت يتلألأ بالدين الحنيف، وتعطره السماء بعبق تعاليمها السمحة، وتتهادى فيه ملائكة الرحمة، تصغى الى ما يتلى فيه من قرآن، وما يتردد في جنباته من أدعية، وما يتسم اديمه بمواقع سجود المصلين فيه وما تحظى غرفه بمجالس الرسول حين كان يزور عمته صفية ويجلس بعض الوقت يلقي الى أهل البيت آخر ما نزل عليه من وحي السماء. في هذا المناخ الطاهر الباهر نشأ عروة واخوته الستة نشأة مباركة زكية، يترددون على بيت خالتهم عائشة ويستمتعون ويعون من علوم الدين ما تتسع له قلوبهم الشريفة وصدورهم النظيفة، حتى صار كل منهم خزانة علم ومعرفة، يؤمهم من يجد في صدره حاجة لفهم ما اشكل فهمه واعضل تفسيره واستغلق تأويله من أمور الدين.

وكان عروة فقيها، عالما حافظا، حجة، عالما باليسير، كثير الحديث كما كان من فقهاء المدينة المعدودين، هو اول من صنف المغازي ولم يدخل في شيء من صنف الفتن، اذ كان متجها بكليته الى العلم والعبادة يحيل القرآن والسنن الى سلوك عملي وتطبيق واقعي، فهو يقرأ كل يوم ربع القرآن في المصحف ويقوم به في الليل، وعلى هذا يمكن ان نقول انه كان يقرأ القرآن مرتين كل اربعة ايام، مرة في المصحف ومرة في الصلاة وقد انار القرآن بصيرته واضاء سريرته وصقل قلبه وجلا عقله، وألهم ذهنه، فكان في العلم كالكوكب الدري، يهدي سناه الحائرين ويرشد ضوؤه السائرين، وكان اذا جلس بجوار الكعبة اجتمع اليه الناس واحاطوه بأسئلتهم، وهو يجيبهم في رزانة وتثبت واناة مثله في ذلك مثل الساقي الذي يطوف على الهيم الظماء بالماء العذب فيروي ظمأهم ويقدم اليهم اعلى ما يطمعون اليه.

وهكذا كان عروة بن الزبير في مجلس علمه يبسط مائدة المعرفة لمن يريد ان يتضلع، ويقدم اطايب العلوم لمن يريد ان يتزود، ويرتقي بعقل الانسان الى درج الوعي والفهم والادراك السليم، اما عن جوده وسخائه ومعروفه، فقد كان معطاء يبذل كل ما في يده ويعطي كل ما يملك ويستصغر العطاء، وتفيض يمناه بالبر ويتهمها بالجدب، وكان له بستان حافل باشجار النخيل، اذا جاء موسم الرطب يفتح ثغره في سورة ليدخل منها الناس ويأخذوا ما شاءوا من الرطب الجني ويحملوا اولادهم ايضا وكان السرور يتلألأ من محياه وهو يرى الناس من بستانه يأكلون وينعمون، وكان عروة بن الزبير كلما دخل بستانه يقرأ الآية الكريمة (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة إلا بالله) وكما يمتحن الله عباده ليمحص الصابر من الجازع، فقد امتحن عبده عروة بن الزبير في نفسه وولده، وحصل ابن الزبير على أعلى الدرجات عند الله، واخذ شهادة مزهوا فخورا بها، لانها تعبر عن ايمان راسخ وعقيدة ثابتة، فتعالوا نستعرض معا هذه الواقعة، لندخل في خشوع واجلال الى هذه النفسية المطمئنة بربها، والى هذا المؤمن الصابر الشاكر الذي استغرقه حب الله، حتى انه كان اذا دخل في الصلاة يذوب وجدا في الله وينسى كل شيء حوله، بل لا يحس بأي ألم في جسده فقد خرج يوما في طريقه من المدينة الى دمشق لزيارة الوليد بن عبدالملك خليفة المسلمين، وكان برفقته ابنه محمد وهو احب اولاده اليه وفي هذا الطريق اصيب بداء الأكله في رجله وهو داء اذا اصاب عضوا في الجسد يظل يتآكل ولا علاج له الا البتر، وقد استغرقت الرحلة بضعة ايام كان الداء خلالها قد تمكن من رجله واستشرى فيها وتفاقم امره، واستولى على نصف ساقه، ولما بلغ دار الخلافة في دمشق ودخل على الوليد بن عبدالملك جمع له الوليد الاطباء المتخصصين في علاج هذا الداء فقاموا بفحص ساق عروة فحصا دقيقا عساهم ان يجدوا لها علاجا غير البتر والاستئصال ولكنهم اجمعوا على قطع الساق فورا والا تسلل الداء الى فخذه ثم الى باقي الجسد.

وعلم عروة بن الزبير بما اجمع عليه الاطباء فلم يبد الجزع على وجهه ولا الحزن على ملامحه، وواجه المحن بنفس راضية وقلب صبور وعندما اخذوه لبتر ساقه قالوا له: الا نسقيك مرقدا «شرابا اشبه بالمخدر» حتى يغيب عقلك فلا تحس بالألم ونحن ننشر ساقك بالمنشار، فابتسم عروة ابتسامة عريضة تعبر عن صدق ايمانه وثباته امام ضربات القدر، وقال لهم: لا، ما ظننت ان احدا يؤمن بالله يشرب شيئا يغيب عقله حتى لا يعرف ربه عز وجل، ولكن ان كنتم لابد فاعلين فافعلوا ذلك وانا في الصلاة، فاني لا احس بذلك ولا اشعر به.

وما ان قام الى الصلاة واستغرق فيها كدأبه حتى نشر الاطباء ساقه فلم يتألم ولم يختلج، ولم يتحرك عضو من اعضائه، ثم امسك بعد الصلاة بالساق المبتورة وقلبها بين يديه، وقال: اللهم انك تعلم اني لم امش بها الى سوء او الى معصية قط.

وحدث في تلك الليلة التي قطعت فيها ساقه ان دخل ابنه حظيرة الدواب فرفسته فرس فمات في الحال، واجتمعت على عروة مصيبتان في ليلة واحدة، بتر ساقه وموت احب اولاده اليه، فكيف استقبل المصيبتين وواجه المحنتين، وبماذا خرج من امتحان الله له في نفسه وولده، كان في ايمانه وصبره كالطود الشامخ العظيم لا تحركه الرياح ولا تهزه الاعاصير ولا تؤثر فيه الانواء، فقد جاءه الوليد بن عبدالملك يعزيه في رجله وفي ابنه الذي قتل برفسة فرس، فقال عروة: اللهم لك الحمد كان لي اطراف اربعة فاخذت واحدا وابقيت ثلاثة وكان لي بنون سبعة فاخذت واحدا وابقيت ستة، فلئن كنت قد ابتليت فلطالما عافيت، ولئن كنت قد اخذت فلطالما اعطيت فلك الحمد يا رب.

ولقد عاش عروة بن الزبير احدى وسبعين سنة حمل خلالها لواء العلم وجسد مبادئ الاسلام في سلوكه النوراني، فقد ولد في السنة الثالثة والعشرين من الهجرة وتوفي السنة الرابعة والتسعين واسند عن ابيه حواري رسول الله ﷺ وعن علي بن أبي طالب وعبدالرحمن بن عوف وسعيد بن زيد وزيد بن ثابت وعبدالله بن عمر وابي ايوب الانصاري واسامة بن زيد وأبي هريرة وابن عباس والسيدة عائشة وخلق كثيرين يطول احصاؤهم.

روائع القصص

حكمة سليمان

هذا داود قد استوى ملكا على عرش بني اسرائيل، يحكم فيما شجر بينهم، ويصرف امورهم، وهم يغدون اليه وهو يفصل في كل ذلك بالعدل والقسطاس، وهذا ابنه سليمان لما يكتمل ولكن اباه قد اصبح شيخا هرما، فهو دائب التفكير في امر قومه، مهتم بمن تكون له الولاية من بعده، يرى ابناءه من حوله، وسليمان ـ وان كان صبيا ـ إلا انه يفضلهم علما وحكمة.

جرت سنة داود على ان يحضر خصومته ابنه سليمان، حتى تزداد قوته فكان سليمان ملازما لابيه في كل مجلس، وفي مجلس من مجالس القضاء جلس النبي الملك داود، وجلس بجانبه ابنه سليمان فأتى خصمان قال احدهما: ان زرعا له قد اتى ثمره، ودنت قطوفه، انتشرت فيه غنم خصمه، وانسابت في الزرع ليلا فأهلكته وابادته، حتى صار اثرا بعد عين، قال صاحب الزرع ما قال، ولم يدفعه صاحب الغنم بحجة ولا دليل، فلزمته الخصومة وحقت عليه كلمة القضاء.

حكم داود بالغنم لصاحب الزرع يأخذها خالصة له، كفاء زرعه، وجزاء اهمال اصحابها الذين تركوها فنفشت في الزرع بالليل، ولكن الصبي سليمان ـ وقد أتاه الله علما وحكمة ـ قال: غير هذا ارفق، ودون هذا اوفق. فدهش القوم لجرأة الغلام، وانتظروا صامتين ما وراءه، فقال: تدفع الغنم الى اهل الحرث فينتفعون بألبانها واولادها واشعارها، وتسلم الارض الى اصحاب الغنم يقومون على زراعتها، حتى تعود كما كانت ثم يترادّان فيأخذ كل ما كان تحت يمينه، وبذلك لا يكون هناك غُنم ولا غُرم، فهذا اقرب الى العدل واصح في الحكمة واولى في القضاء.

ذنوب كبيرة

الشرك بالله

أكبر الكبائر الشرك بالله تعالى، وهو نوعان، أحدهما ان يجعل الله ندا أو يعبد معه غيره من حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو نبي أو شيخ أو نجم أو ملك أو غير ذلك، وهذا هو الشرك الأكبر الذي ذكره الله عز وجل (إن الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء)، وقوله تعالى (إن الشرك لظلم عظيم)، وقوله (إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار). والنوع الثاني من الشرك الرياء: الرياء بالأعمال كما قال تعالى: (فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يرشك بعبادة ربه أحدا)، أي لا يرائي بعمله أحدا، قال ﷺ: «إياكم والشرك الأصغر» قالوا: يا رسول الله، وما الشرك الأصغر؟ قال: الرياء، يقول الله تعالى يوم يجازى العباد بأعمالهم: (اذهبوا الى الذين كنتم تراءونهم بأعمالكم في الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم جزاء)، وقال ﷺ: يقول الله: «من عمل عملا أشرك معي فيه غيري فهو للذي أشرك وأنا منه بريء»، وقال ﷺ: «من سمع سمع الله به، ومن راءى راءى الله به»، وعن أبي هريرة رضي الله عنه ان النبي ﷺ قال: «رُب صائم ليس له من صومه إلا الجوع والعطش، ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر» أي إذا لم تكن الصلاة والصوم لوجه الله تعالى فلا ثواب له كما روى عنه ﷺ انه قال: «مثل الذي يعمل للرياء والسمعة كمثل الذي يملأ كيسه حصى ثم يدخل السوق ليشتري به فإذا فتحه قدام البائع فإذا هو حصى وضرب به وجهه ولا منفعة له في كيسه سوى مقالة الناس له ما أملأ كيسه ولا يعطى به شيئا فكذلك الذي يعمل للرياء والسمعة فليس له من عمله سوى مقالة الناس ولا ثواب له في الآخرة».

رسائل الرسول

إلى الملوك والأمراء

قام ﷺ ذات يوم على المنبر خطيبا فحمد الله وأثنى عليه وتشهد ثم قال: «أما بعد، ان الله بعثني رحمة وكافة، فأدوا عني يرحمكم الله، فإني اريد ان ابعث بعضكم الى ملوك الاعاجم، فلا تختلفوا علي، كما اختلف الحواريون على عيسى بن مريم.

قالو: وكيف يا رسول الله كان اختلافهم؟

قال ﷺ: دعاهم لمثل ما دعوتكم له، فأما من بعثه مبعثا قريبا رضي وسلم، واما من بعثه مبعثا بعيدا كره وابى، فشكا ذلك عيسى الى ربه، فأصبحوا وكل منهم يتكلم بلغة القوم الذين وجه اليهم.

فقال المهاجرون: يا رسول الله، انا لا نختلف عليك في شيء ابدا فمرنا وابعثنا. ولما اراد رسول الله ﷺ ان يكتب للملوك قيل له: يا رسول الله انهم لا يقرأون كتابا إلا اذا كان مختوما.

فاتخذ رسول الله ﷺ خاتما من فضة، عليه ثلاثة اسطر، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، والأسطر الثلاثة تقرأ من أسفل الى فوق، فمحمد آخر الاسطر، ورسول في الوسط، والله فوق وكانت الكتابة مقلوبة لتكون على الاستواء اذا ختم بها.

فكان ذلك الخاتم في يد رسول الله ﷺ ثم في يد ابي بكر الصديق رضي الله عنه ثم في يد عمر بن الخطاب الفاروق رضي الله عنه ثم في يد عثمان بن عفان «ذو النورين» رضي الله عنه حتى وقع في بئر أريس في السنة التي توفي فيها عثمان رضي الله عنه فالتمسوه ثلاثة أيام فلم يجدوه.

وكان رسول الله ﷺ يضع الخاتم في خنصر اليد اليسرى وهو المروي عن عامة الصحابة، وقيل: كان في خنصر اليمين وهو المروي عن طائفة، منهم ابن عباس رضي الله عنهما، وعائشة ام المؤمنين رضي الله عنها.

● الشيخ سيد الرفاعي

طرائف رمضانية

الوالي والشره

كان رجلا يسمى أشعب من أشد الناس طمعا، وكان شرها مبطنا، فدخل على أحد الولاة في أول يوم من رمضان يطلب الإفطار، وجاءت المائدة وعليها جدي، فأمعن فيه أشعب حتى ضاق الوالي، وأراد الانتقام من ذلك الطامع الشره.

فقال له: اسمع يا أشعب، إن أهل السجن سألوني أن أرسل اليهم من يصلي بهم في شهر رمضان، فامض اليهم وصل بهم، واغنم الثواب في هذا الشهر.

فقال أشعب ـ وقد فطن الى غرض الوالي: أيها الوالي لو أعفيتني من هذا نظير أن أحلف لك بالطلاق والعتاق اني لا آكل لحم الجدي ما عشت أبدا. فضحك الوالي.